



أهمية الطوبونيميا والجغرافيا في التاريخ الأندلسي من خلال المصادر العربية

The importance of toponymy and geography in Andalusian history through Arabic sources.

الأستاذ: أحمد شارف

Pr. Charef Ahmed

جامعة: الشهيد زيان عاشور- الجلفة

a.charef@univ-djelfa.dz

الملخص باللغة العربية

يوضح البحث أن فهم التاريخ الأندلسي يتطلب معرفة دقيقة بالجغرافيا والمدن والأعلام المرتبطين بها. ويؤكد أن توزيع مدن الأندلس كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالأنهار الكبرى، خاصة في تشكيل المجال الحضري. ويجب إلى الرجوع إلى كتب الجغرافيا والخرائط لفهم مواقع المدن وخصائصها وتاريخ تأسيسها وتسميتها وبالتالي يطرح التساؤل حول قيمة المعرفة الطوبونيمية في تفسير تاريخ الأندلس وأعلامها عند المؤرخين والجغرافيين، كما أن البحث يبين أن الهدف هو تعزيز الثقافة الجغرافية حول مدن الأندلس الكثيرة، مع الاكتفاء بنماذج دالة بدل الإحاطة الشاملة. واعتمدنا في هذا البحث على مصادر قديمة وحديثة، مثل البكري والحميري، وبعض الدراسات المعاصرة والخرائط الأطلسية..

الكلمات المفتاحية: الطوبونيميا، الجغرافيا، التاريخ الأندلسي، المصادر العربية

Abstract:

The research shows that understanding Andalusian history requires precise knowledge of geography, cities, and the notable figures associated with them. It also emphasizes that the distribution of Andalusian cities was closely linked to the major rivers, especially in shaping the urban landscape. It is necessary to consult geography books and maps in order to understand the locations of cities, their characteristics, their founding dates, and the origins of their names. The study therefore raises the question of the value of toponymic knowledge in interpreting the history of al-Andalus and its figures as seen by historians and geographers. It also shows that the aim is to strengthen geographical knowledge of the many Andalusian cities, while focusing on representative examples rather than a comprehensive survey. The research relies on both classical and modern sources, such as al-Bakri, al-Himyari, and some contemporary studies and atlases.

Keywords: Toponymy, geography, Andalusian history, Arabic sources.



مقدمة

يصادف الباحث في التاريخ الإسلامي عموماً والتاريخ الأندلسي خصوصاً، أستاذاً كان أو طالباً كماً كبيراً من المعلومات والأحداث التاريخية؛ وأسماء كثيرة لأعلام مختلفين يُنسبون إلى مدن مشهورة وأخرى غير مشهورة، ولذلك لا يمكننا أن نفهم التاريخ الأندلسي فهماً واعياً دون فهم ومعرفة للجغرافية والمدن الأندلسية، التي ارتبط توزيعها ارتباطاً وثيقاً بأنهار الأندلس الكبرى.

وهنا لا بد من العودة إلى كتب الجغرافيا والخرائط لمعرفة هذه المدن، في موقعها وخصائصها و تاريخ تأسيسها، وتسميتها وعلاقة ذلك بالحدث التاريخي والباحث في التاريخ دون الاسترشاد بهذه المعلومات كالباحث عن شيء ما دون دليل أو مخطط يرسم له طريق الوصول إلى موقعه،

والسؤال الذي نطرحه في هذه المقدمة هو: ما مدى قيمة المعرفة الطوبونيمية في فهم تاريخ وأعلام الأندلس ؟ وفيما تظهر المعرفة الطوبونيمية عند مؤرخي وجغرافي الأندلس ؟

وهذا السؤال يدخل ضمن المحور الرابع من محاور الملتقى ألا وهو: قيمة المكان وأسماء المواقع الجغرافية في المعرفة التاريخية.

ونهدف من خلال الإجابة عن هذا السؤال إلى تعزيز الثقافة الجغرافية لمعالم ومدن الأندلس الكثيرة ففيها أكثر من ثمانين مدينة من المدن الكبار، وثلاثمائة وأزيد من المدن المتوسطة، وفيها من القرى والبروج والحصون مالا يُحصى كثرة، فعدد القرى التي على نهر الوادي الكبير تعد بالآلاف، ولذلك لا يمكننا في مقال أن نحيط بمدن الأندلس، ولكننا نسعى إلى إعطاء نماذج عن أهمية الطوبونيميا في ضبط أسماء بعض المدن والقرى في رسم حروفها وتحديد موقعها وبيان أهم أعلامها ونقاط من تاريخها.

واعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من الأعمال القديمة منها البكري في كتابه القيم "المسالك والممالك" وكنت أعول على كتابه الآخر المعنون ب "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" غير أنه خصصه لجزيرة العرب، كما اعتمدت كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" للحميري، وغيرها من المعاجم والموسوعات القديمة، أما الحديثة فقد اعتمدت على بعض الأعمال الرائدة في البحث الأندلسي ككتاب دولة الإسلام في الأندلس، بالإضافة إلى مراجعة مجموعة من الخرائط المتفرقة في الأطالس الجغرافية.

مدخل حول المعرفة الطوبونيمية وأهميتها في تاريخ الأندلس:

ذكر الباحثون علوماً ومعارف عديدة تشكل روافد داعمة ومفسرة لعلم التاريخ، كعلم الآثار والحفريات **Archeology and Paleontology**، الكتابات القديمة **epigraphie**، علم الإنسان **Anthropology**، علم السلالات والأجناس البشرية، **Human phylogeny and ethnology**، علم فقه اللغة **philology**، وعلم الجغرافيا



والخرائط **Geography and maps** ⁽¹⁾ وغيرها من العلوم والمعارف التي تدعم وتفسر التاريخ، وقد بين الدارسون مدى تأثير الجغرافيا في حركة التاريخ ⁽²⁾

وتأتي الطوبونيميا التي تبحث في أصل أسماء المدن والبلاد ضمن المعارف التي تفسر جانباً من التاريخ إذ أنها تجمع بين اللغة والجغرافيا والتاريخ والانسان، وهي معرفة قبل أن يقودنا إليها فضول البحث العلمي في التاريخ، يقودنا إليها الفضول العام فتتساءل: لماذا سُميت هذه المدينة بهذا الاسم؟ وما هو أصل التسمية؟ ومن بنى المدينة؟ وهي الأسئلة التي يطرحها المختص في الطوبونيميا.

ولا شك أن الإجابة عن هذه الأسئلة تكشف كثيراً من المجهول في التاريخ، وتفك كثيراً من الغموض الذي يحجب الرؤيا عن الباحث، ولذلك سنجد أن معرفة تسمية المدينة تعبر عن مرحلة من مراحل التاريخ الذي مرت به المدينة، فالعودة إلى التحقيق في أسماء المدن والبلاد والعودة إلى أصولها هي عودة إلى شواهد تاريخية غير مقصودة في التأريخ للمنطقة لكنها ذات مصداقية كما عبر أحد الباحثين ⁽³⁾ وبما أنها شواهد معبرة عن حقبة زمنية فهذا يدفعنا إلى اعتمادها كمعرفة مكمل، مع ضرورة الإحاطة بملايسات التسمية حتى نستفيد منها دون الوقوع في أحكام قد تكون أدنى إلى الأوهام منها إلى الحقائق.

فاسم المدينة يحمل دلالات وأبعاد عديدة ⁽⁴⁾ هذه الأبعاد التي من شأنها أن تقدم معلومات تاريخية اجتماعية، انثروبولوجية، اقتصادية، عسكرية وسياسية، فاختيار التسمية له مناسبتة وليس من قبيل الصدفة، ولا يمكننا أن نفهم بعض جوانب التاريخ الأندلسي دون معرفة جغرافية تجمع بين ساكني المدينة كمعطى بشري له علاقة بالموقع كمعطى جغرافي، في الوقت نفسه لا نجزم بأصل بعض التسميات المختلف حولها قديماً ومنها اسم "إيبيريا" ⁽⁵⁾ الذي تسمت الجزيرة به.

قيمة المعرفة الجغرافية في التاريخ الأندلسي:

المعرفة بالبلاد وأسماء مدنها وخصائصها من شأنه أن يُساعدنا في الإحاطة بتفاصيل عديدة، ولذلك تناول مؤرخو الأندلس، خطوط سير الفتوحات الإسلامية، لشبه الجزيرة الأيبيرية Iberian Peninsula وتكلموا عن المدن كـ مدينة على حدى، لبيان طريقة، وأسماء الأنهار ومواقعها التي تحدد لنا توزيع المدن عليها كما قسّموا الجزيرة إلى ثغور ثلاثة (الشر الأعلی وعاصمته سرقسطة الشر الأوسط وعاصمته مدينة سالم ثم بعد ذلك طليطلة الشر الأدنى وعاصمته طليطلة).

(1) ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة للنشر، الجزائر 2000م ص: 14 وما يلها.

(2) انظر كتاب: GORDON EAST, The Geography behind History, discussion books General Edition, London 1938.

(3) محمد البركة، الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد آليات البحث، دورية كان التاريخية السنة 7 ع 24 يونيو 2014م ص 125.

(4) عبد القادر بوعقادة، الطوبونيميا وكتابة التاريخ، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية ع 3 جوان 2015، ص 9.

(5) حول الاختلاف في أصل كلمة "إيبيريا" انظر: جماعة مؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1988، 5/

كما أن هذا التاريخ تاريخ مشترك بين عناصر بشرية عدة كونت المجتمع الأندلسي، هذه العناصر التي تم توزيعها على أقاليم الأندلس، فكان لكل إقليم أو مدينة عناصره البشرية التي تتشكل من عدد من الأسر والقبائل التي تكونه.

وكانت هناك معارك كثيرة دارت بين المسلمين والنصارى، ومعارك كانت بين المسلمين أنفسهم ينبغي تحديد إطارها الجغرافي بدقة فنحتاج من أجل ذلك إلى معرفة جغرافية.

وكما عرفنا خط سير الفتوحات الإسلامية، للجزيرة سنعرف كيف اقتحمت قوات النصارى المدن الإسلامية، إثر حركات الاسترداد النصراني فخرية الأندلس خريطة لم تعرف ثباتاً سياسياً، وبالتالي كان لكل عصر خريطته التي تختلف عن خريطة العصر اللاحق، فالتغير السياسي كان عملية ملازمة للتاريخ الأندلسي نتج عنها تغير مستمر في شكل الخريطة الذي أخذ في التقلص بداية من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

أما فيما يتعلق بالأعلام، فإن المعرفة بالمدن تبين نسبة الأعلام إليها، فمثلاً حين يقول صاحب جذوة المقتبس متكماً عن منذر بن سعيد القاضي: "أبو الحكم يعرف بالبلوطي" فماذا يقصد بالبلوطي؟ ويكمل التعريف بأنه: منسوب إلى موضع هناك قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط⁽⁶⁾ وحين نقول لسان الدين ابن الخطيب⁽⁷⁾ اللوشي. فماذا يقصد باللوشي؟ ويضبطها لنا الحموي وغيره قائلاً: «لَوْشَةُ بالفتح ثم السكون وشين معجمة: مدينة بالأندلس، غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيراً وهي مدينة طيبة على نهر سنجل/ شنيل نهر غرب غرناطة وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً وبين غرناطة عشرة فراسخ ثم يعطينا صاحب نبذة العصر خبراً وقع فيها في آخر أيام المسلمين بالأندلس، وهو موقعة لَوْشَة العظيمة وانتصار المسلمين في جمادى الأولى عام 887⁽⁸⁾ كما نجد أمثلة أخرى كثيرة لأسماء مدن وقرى ينسب إليها أعلام آخرون مثل: التاكرني⁽⁹⁾

(6) الحميدي محمد بن فتوح الأزدي الميورقي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة عام النشر: 1966 م ص: 348.

(7) هنا نأخذ مثلاً عن نسبة ابن الخطيب، فنقول:

محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني قرطبي الأصل ثم طليطلي ثم لوشي ثم غرناطي. يكنى أبا عبد الله ويلقب بلسان الدين وهو من الألقاب المشرقية. وزير طبيب أديب مؤرخ وفقه مالكي أندلسي. ولد بمدينة لَوْشَة سنة 713 هـ. نشأ لسان الدين بغرناطة وتأدب على شيوخها وكانت موته سنة 776 هـ، وهذا يعني أن عائلته تنحدر من قرطبة، وسكنت طليطلة، وكانت مستقرة حين مولده في لَوْشَة بغرناطة. انظر: مقدمة كتابه: ابن الخطيب لسان الدين (ت 776 هـ) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار تح: محمد كمال شبانة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002 م. ص: 2.

(8) مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، وهو كتاب آخر أيام غرناطة تح: محمد رضوان الداية، دار حسان - دمشق ص 57.

(9) نسبة إلى تاكرنا tacorona وهي من أعمال استجة، مدينة قديمة منها رندة، يُنسب إليه أعلام منهم أبو عامر محمد بن سعيد التاكرني الكاتب الأندلسي، ومنها عباس بن فرناس التاكرني (ت 274 هـ) الذي وصفه ابن حيان بالشاعر الحكيم الكيميائي الذي أراد الطيران. انظر: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب دار المعارف القاهرة، ط 3، 1955، 333/1.



والشليشي⁽¹⁰⁾ والقسطلي⁽¹¹⁾ وغيرها مما يتطلب معرفة جغرافية للمدن، ومعرفة لغوية لضبط أسمائها، وهو ما يجتمع في "الطوبونيميا" التي نجد ملامحها في استخدامات المؤرخين والجغرافيين القدامى.

استعمال المؤرخين والجغرافيين المسلمين للطوبونيميا:

الطوبونيميا إن كانت حديثة في اسمها ومبناها فهي قديمة في استعمالها، وقد درج المؤرخون والجغرافيون المسلمون إلى التعريف بأسماء البلاد والمدن فجاءت عملية ضبط أسماء المدن أو الكور⁽¹²⁾ خاصة عند الجغرافيين، ونجد ذلك في معرض حديثهم عن المدينة، إذ يزودنا الكاتب مؤرخاً كان أم جغرافياً في كتابه بجملة من المعلومات الجغرافية، سواء في بداية كتابه أو في آخره أو في مثناه، ومن أهم جغرافي الغرب الإسلامي الذين اهتموا بضبط الأسماء؛ البكري (ت 487هـ) في كتابه "المسالك والممالك" وكتابه الآخر "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" والحميري الأندلسي، أرومة السبتي قرارا في كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" كما ألف الإدريسي كتابه: "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" و نجد ذلك عند المراكشي صاحب "المعجب" الذي استهل كتابه وأنهاه بمعلومات جغرافية عن جزيرة الأندلس⁽¹³⁾

ويعتبر البكري رائداً في الكتابة التي تجمع بين البحث في اسم المدينة وأصلها وموقعها لأنه لغوي بالدرجة الأولى، ويُفصح عن ذلك في مقدمة كتابه "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع" مبيناً سبب التأليف الذي يسعى إلى تصحيح ما وقع فيه الناس من تصحيف بسبب التردد لأسماء مواضع دون علم برسم حروفها، ولا تحديد موقعها.

فيقول في مقدمة كتابه: « هذا كتاب ذكرت فيه إن شاء الله جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار، من المنازل والديار، والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والذرات والحرار منسوبة محدّدة ومبوبة على حروف المعجم...فإنّي لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس أردت أن أفصح عنه بأن أذكر كلّ موضع مبين البناء، معجم الحروف،

(10) نسبة إلى شليش saltes من كورة لبلبة من أعمال أوبية قرب شلب غربي إشبيلية، هي موطن اللغوي أبي عبيد البكري ودار إمارة البكرين زمن أمراء الطوائف. بها صناعة السفن، كانت عرضة لغزوات النورمانديين. انظر: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تج: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 167 و168. الحميري، الروض المعطار، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج ط2 بيروت 1980. ص 344.

(11) نسبة إلى قسطلة Cacula بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الطاء وتشديد اللام وهاء: مدينة بالأندلس وقيل قرية اختلف في تحديدها فحددها الحميري في غرب الأندلس في البرتغال ورجح المحقق إحسان عباس أن تكون من عمل جيان نسب إليها جماعة من أهل الفضل منهم: أبو عمر أحمد ابن محمد بن دراج القسطلي (421 هـ) كاتب الإنشاء لابن أبي عامر وكان شاعراً مقلداً واشتهرت المدينة به. وهناك قسطلي بالشام بين حمص ودمشق. انظر: الإحالة الرابعة على الهامش من: الحميري، المصدر السابق، ص 479.

(12) الكورة المدينة وجمعها كور: انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط3، 1414 / 5. 156.

(13) انظر على سبيل المثال: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين تج: صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية، صيدا-بيروت ط1 2006 ص 265 وما يليها.



حتى لا يدرك فيه لبس ولا تحريف... فإنَّ صحّة هذا لا تدرك بالفطنة والذكاء، كما يلحق المشتقّ من سائر الأسماء، وما أكثر المؤتلف والمختلف في أسماء هذه المواضع مثل ناعجة وباعجة، ونبتل وئيتل، ونخلة ونحلة، وساية وشابة والنّقرة والنّقرة وجند وجند وجسان وحسان، وجبج وحبج، وسنام وشبام، وسلع وسلع، والحب والحوأب، وقرن وقرن وجفاف وحفاف، وحتّ وختّ، وتريم وتريم، وتهامة ونهامة (بالنون) و خزاز وجرار وحرّاز؛ وكذلك ما اشتبه أكثر حروفه نحو سمن (بالنون) وسعى (بالياء) وشمام (بالميم) وسقام (بالقاف) وشابة (بالياء) وشامة (بالميم) ونملى (بالنون) وقملى (بالقاف) وخملى (بالخاء) وجرزان (بالزاي) وجرذان (بالذال) وإلهة وإهالة (بتقديم الهاء على اللام) والقاعة والقاحة وقديما صحّف الناس في مثل هذا⁽¹⁴⁾

ونموذج توظيف الطوبونيميا عند البكري يظهر في مواضع عديدة منها عند تعريفه للأندلس ومدنها فكان دائما ينطلق من تسمية المدينة وأصلها.

ومثالاً عن ذلك يقول عن الأندلس وأسمائها:

((ذكر أنّ اسمها في القديم إبارية من وادي أبره، ثمّ سمّيت بعد ذلك باطقة من وادي بيطى، وهو نهر قرطبة ثمّ سمّيت إشبانية من أجل رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان⁽¹⁵⁾ وقيل إنّما سمّيت بالاشبان لأنّ الأشبان سكنوها في أول الزمان ... وقال قوم إنّ اسمها على الحقيقة إشبانية مسّاة من بشيرى وهو الكوكب المعروف بالأحمر. وسمّيت بعد ذلك بالأندلس، من أسماء الأندليش الذين سكنوها على ما يأتي ذكره))⁽¹⁶⁾

ثم يتكلم عن أسماء المدن الأندلسية، الكبرى الواحدة تلوى الأخرى فيقول عن قرطبة: ((ذكر أنّ تفسير قرطبة بلسان القوط قرظبة بالطاء المعجمة، ومعناه بلسانهم القلوب المختلفة))⁽¹⁷⁾ أما عن إشبيلية فيقول: ((وهي قديمة أولية زعم أهل العلم باللسان اللطيني (اللاتيني) أنّ أصل تسميتها إشبالي، معناه المدينة المنبسطة، ويقال إنّ الذي بناها يوليوس قيصر. وكان سبب بنائه إياها أنّه لما دخل الأندلس، ووصل إلى مكانها أعجب بكرم ساحته وطيب أرضه وجبله المعروف بجبل الشرف واشتقّ لها اسماً من اسمه، ومن اسم رومية فسّمّاها مدينة رومية يوليش، وإشبيلية آثار للأول كثيرة، وبها أساطين عظام تدلّ على هياكل كانت بها، وإشبيلية من الكور المجتدة نزلها جند حمص))⁽¹⁸⁾

(14) أبو عبيد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب بيروت الطبعة: الثالثة 1403 هـ 1/1 و2.

(15) يقول البكري في موضع آخر: ((ويذكر في بعض الأخبار أنّ إشبان بن طيطش من ذرية طوبيل بن يافث بن نوح عليه السلام كان أحد أملاك الإشبانيين)). انظر: البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992. 903/2.

(16) البكري، المصدر السابق، 890/2.

(17) المصدر السابق، 900/2.

(18) البكري، المصدر السابق، 905/2.

ويتوسع الحميري في روضه فيورد ما ذكره البكري ويضيف إليه معلومات أخرى عن تاريخ الأندلس، وأسمائها وأثارها وشعوبها فيقول: ((... واسم الأندلس، في اللغة اليونانية اشبانيا... وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة... ويقال إن أول من اختط الأندلس، بنو طوبال بن يافث بن نوح سكنوا الأندلس... وسميت جزيرة الأندلس جزيرة لأنها شكل مثلث... وفيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالأندلس، هرقلش وله الأثر في الصنم بجزيرة قادس، وصنم جليقية والأثر في مدينة طركونه الذي لا نظير له...))⁽¹⁹⁾

هذا السرد الذي ورد عن البكري والحميري في وصف بلاد الأندلس، وجغرافيتها وموقعها وذكر أسمائها والشعوب التي سكنتها وآثارهم فيها هو يُعبر عن نوعٍ من الطوبونينيميا في استعمالات المؤرخين والجغرافيين العرب ولا شك أن لكل اسم من أسماء المدن الأندلسية، دلالة تاريخية تُعبر عن حقبة ما.

دلالة ذكر اسم المدينة على الحقبة التاريخية:

من خلال تتبع تاريخ الأندلس عبر مراحلها نلاحظ ملاحظات عديدة حول استعمال أسماء المدن فإلاسم المدينة دلالة سياسية التي تسببت فيه وتفسره، كما للإسم دلالة تاريخية، فالاسم المتداول هو يعبر عن حقبة تاريخية فحين نقول الأندلس، نحن نقصد عصر التواجد الإسلامي فيها لكن حين نقول: إسبانيا فنحن نقصد إما عصر ما قبل الفتح الإسلامي أو عصر ما بعد انتهاء العصر الإسلامي.

نلاحظ هذا في ذكر وتداول أسماء بعض المدن واختفائها أو تغييرها فعلى سبيل المثال ففي القرون الأولى بعد فتح الأندلس كانت تُذكر مدينة إلبيرة⁽²⁰⁾، وأنه سكنها جند الشام، ودخلها عبد الرحمن الداخل، فكان لها دور سياسي وحضاري، فازدهرت في المجال الأدبي والعلمي حتى صنف العلماء في تراجم علمائها مصنفات⁽²¹⁾ ولم تكن غرناطة ترقى إلى هذه المكانة، بل كانت غرناطة مدينة من مدن إلبيرة كما قال الحموي في وصفه لها، وشيئا فشيئا تراجع اسم إلبيرة ليحل محله اسم غرناطة بل أصبحت إلبيرة من مدن غرناطة وهذا التحول في استعمال الاسم له دلالاته السياسية من نفوذ وهيمنة وعصر، إنه يعبر عن بداية عصر الطوائف حين قام البربر من أنصار زيري بن مناد الصنهاجي بتخريب إلبيرة واتخذوا غرناطة عاصمة للدولة الزيرية⁽²²⁾ واستطاعت بعد ذلك غرناطة أن تنال الإرث الأندلسي بعد أن انتقل إليها جُلُّ الأندلسيين النازحين من المدن الإسلامية التي سقطت في يد جيوش الاسترداد النصراني، وغدت غرناطة تحمل اسم الأندلس، وهذا ما يفسر نسبة عدد كبير

(19) الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج ط، 2، بيروت، 1980. ص 32.

(20) انظر وصف الحموي لإلبيرة: الحموي ياقوت معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بيروت ط 2 1995 م 244/1.

(21) أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس أعلام مالقة تج عبد الله المرابط الترقي دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط - المغرب ط 1 1999 ص 16.

(22) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب 2/ 106.



من الأعلام الذين ينسبون إلى غرناطة وأقاليمها التابعة إليها فإذا كانت مدينة قرطبة قد فاقت غيرها من المدن الأندلسية، شهرة وأعلاماً في عصر الدولة الأموية فإنه منذ سقوطها سنة 633هـ قد تحولت الشهرة إلى غرناطة ودام ذلك زهاء قرنين ونصف إلى أن سقطت في يد النصارى سنة 897هـ.

ونجد في تاريخ إسبانيا ذكراً لمدينة قرطاجنة (نوبا كرتاجو، قرطاجنة الجديدة) القريبة من تدمير في الساحل الشرقي ومدينة طالقبة القريبة من إشبيلية غير أن استعمال وتداول أسماء هذه المدن قد تراجع فالت قرطاجنة إلى الانحسار ولم يبق بها غير طائفة قليلة⁽²³⁾ بينما آلت مدينة "طالقبة" إلى الخراب وأصبحت أثراً بعد عين⁽²⁴⁾ وما عرفت المدینتان من تراجع مس عدد من القرى والمدن الأخرى لعوامل بشرية أو طبيعية.

أما تدمير التي جاء اسمها من حاكمها تدمير⁽²⁵⁾ و التي سكنها جند مصر فلم يلبث اسمها طويلاً وتوارى فاخترى اسم تدمير ليحلها محلها اسم جديد هو "مرسية" وهو اسم مدينة اختطها الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وهي إلى جانب مدينة تدمير القديمة المعروفة بمرساها⁽²⁶⁾ ولذلك لا نجد نسبة إلا إلى مرسية التي ينسب إليها عدد من الأعلام مثل أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التّيانيّ اللغوي المرسى من أهل مرسية⁽²⁷⁾ والشاعر عبد الجليل بن وهب المرسى⁽²⁸⁾ وغيرهم من الأعلام

ومن ذلك أيضاً جهة غرب الأندلس، كانت هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي يُطلق عليها الرومان اسم لوسيتانيا⁽²⁹⁾ التي تكشف آثارها الضاربة في عمق التاريخ أن شعوباً متعددة سكنت غرب الجزيرة وجاءت التسمية من اللوزياني الذي سكنها، فلما أصبحت إسلامية أطلق المؤرخون عليها تسمية غرب الأندلس، وهي تشمل أشبونة (لشبونة) باجة شلب

(23) الحموي، المصدر السابق، 4/ 323.

(24) الحميري، المصدر السابق، ص: 381.

(25) الحميري، المصدر السابق، ص: 462. وهذا بخلاف ما ذهب إليه الحموي من أن سبب تسمية تدمير تشبهاً لها بتدمر الشام. انظر: الحموي، المصدر السابق، 5/ 107.

(26) الحميري، المصدر السابق، في خبر الأقطار ص: 462.

(27) ابن ماكولا، الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب تج: عبد الرحمن بن يحيى الملعلي اليماني طبع دائرة المعارف العثمانية الهند الطبعة 1381 هـ 1/ 443.

(28) ابن خاقان، أبو نصر الفتح قلائد العقيان المطبعة الأميرية بولاق 1866 م ص: 241.

(29) ول ديورانت قصة الحضارة تر: جماعة من المترجمين دار الجيل بيروت 107/ 29.



قرمونة قلمرية (عاصمة البرتغال السابقة) إفراغة شنترين وغيرها من المدن. وكان لظهورها واستقلالها عن جليقية عوامله السياسية والعسكرية والاجتماعية⁽³⁰⁾

فحين نتأمل الخريطة الإدارية للأندلس في العهد الأموي منذ منتصف القرن الثاني إلى القرنين الثالث والرابع نجد أنها تختلف عن الخرائط التي كانت قبل و أثناء الفتح ، وعن الخرائط التي تأتي بعد ، حيث نلاحظ عدة ملاحظات منها: ظهور أسماء مدن جديدة كأسماء مدن عربية جديدة تظهر على الخريطة منها مرسية ومدينة سالم وقلعة رباح واختفاء أسماء مدن قديمة، كما نلاحظ تغير الخريطة السياسية من عصر إلى عصر فخريطة عصر ملوك الطوائف ثم المرابطين في القرنين الخامس والسادس الهجريين تختلف عن غيرها في القرون السابقة بسبب الأوضاع السياسية أيام أمراء الطوائف، وبداية حركات الاسترداد النصراني، وعليه فلاسم المدينة دلالتة المعبرة بصمت عن الحقبة التاريخية.

دور الطوبونيميا في ضبط الاسم :

إلى جانب الدلالات التاريخية للاسم فإن للمعرفة الطوبونيمية دوراً في ضبط أسماء المدن والمواقع وهنا على سبيل المثال نعطي أمثلة عن أخطاء شائعة في تاريخ الأندلس، منها الخلط بين جبال البريني وجبال البرانس .

فكثيرون -سواء على الساحة الأكاديمية أو الاعلامية أو السياسية - لا يفرقون بين جبال البرتات وجبال البرانس فهل جبال البرتات هي جبال البرانس؟ وهل كلمة برانس أصلها كلمة "برنوس أو برنس"⁽³¹⁾.

يقول عنان إن جبال البرتات تعني الأبواب: port وهي محرفة عن الإسبانية Puerta ومعناها الباب. وسميت الجبال بهذا الاسم لأنها تحتوى على خمسة أبواب أو ممرات طويلة كانت تستعمل للعبور والغزو ويقول: «يحسن بنا أن نشير هنا إلى أن بعض الكتاب والباحثين يسمون جبال البرنيه خطأً بجبال "البرانس" ذلك لأن جبال البرنيه تسمى في الجغرافية العربية حسبما قدمنا بجبال البرت أو البرتات. أما جبال "البرانس" فهي سلسلة أخرى من الجبال الإسبانية تقع شرقي ماردة وجنوبي طليطلة وهي التي تعرف في الجغرافية الحديثة بجبال المعدن Sierra de Almaden لوقوعها على مقربة من مدينة "المعدن". وسميت في الجغرافية العربية "بالبرانس" نسبة لقبيلة البرانس البربرية التي كان منزلها في الأندلس، على مقربة من هذه الجبال⁽³²⁾ ويعتمد عنان في حديثه على ابن عذارى حين تناول الحديث عن ثورات البربر بما فيها ثورة البرانس في طليطلة وأول من ذكر مصطلح جبل البرانس في المصادر القديمة البكري حين قال: «ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هناك يتجهز به إلى

(30) انظر حول نشأة البرتغال واستقلالها: عنان محمد عبدالله دولة الاسلام في الاندلس مكتبة الخانجي القاهرة ط2 1990 523/3.

(31) أثارَت تصريحات الوزير الأول الأسبق عبد العزيز جراد نقاشاً حين نسب تسمية جبال البرانس لاسم "البرنوس" انظر: القدس العربي 26 أغسطس - 2020، <https://www.alquds.co.uk/>

(32) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، 53/1 و 82/1.



الافاق⁽³³⁾ في حين يسمي جبال البرتات بجبال " ألبرت " وهنا يؤكد لنا أن جبل البرانس هو جبل معادن، عند منطقة المعدن قرب طليطلة، وهو غير جبل البرتات الواقعة على الحدود الاسبانية الفرنسية.

بلد الوليد Valladolid:

مدينة من مدن النصارى الواقعة في الشمال (قشتالة) على يمين نهر بسيورقة وغلب عليها اسم " بلد الوليد " والأصل أن اسمها مأخوذ من كلمة " الوالي " وهذه اللفظة عربية محرفة من بلد الوالي، وهكذا سمّاها العرب فأضاف إليها الإسمان حرف الدال فصار الناطق يتوهم أنها بلدة بناها رجل يقال له: الوليد وهي اليوم مركز مقاطعة بهذا الاسم⁽³⁴⁾ والحق أنه بعد تصفح عددٍ من المصادر العربية القديمة لم نعث على اسم " بلد الوليد " وتداوله جاء مُتأخراً.

تسمية المدن الأندلسية، ونسبة الأخبار والأعلام إليها:

نتناول ذكر مظاهر المعرفة الطوبونيمية من خلال تناول المؤرخين والجغرافيين لمدن الأندلس، التي نصنفها إلى مجموعات وهذا التصنيف ليس حسب موقعها وثغورها ولكنه تصنيف له علاقة بالتأسيس قديماً وحداثة وله علاقة بالأسماء وتشابهها وتكرارها.

المدن القديمة:

جل المدن في الأندلس هي مدن قديمة أنشأتها الحضارات المتعاقبة عليها، ومن بين أهم هذه المدن القديمة: جيّان وطليطلة وسرقسطة ولاردة ووادي الحجارة وترجالة وقورية وماردة وباجة ولبلة وقرمونة ومورور واستجة وريّة، وهي كلّها مدن كبيرة، وليس فيها ما يقارب قرطبة في العظم والكبر، وأكثر ابنيها من حجارة، وهي ابنية جاهليّة لا تعرف فيها مدينة محدثة⁽³⁵⁾ وهذه المدن أسهمت فيها جميع الحضارات المتعاقبة واستطاع المسلمون أن يبدعوا فيها، ويوسعوها، ويصبغوها بالصبغة الإسلامية.

وكان بناء هذه المدن على مراحل حسب تعاقب الدول والحضارات على اسبانيا من أزمنة بعيدة تعود إلى ما قبل الميلاد ومنهم: الفينيقيون والاسبان والرومان والبيزنطيون والقوط ولعل عدداً كبيراً من هذه المدن يعود تأسيسه إلى الحقبة الرومانية

(33) البكري، المصدر السابق، 2/ 898.

(34) محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن، ط1، 2003. 1/ 92 .

(35) الاصطخري أبو إسحاق الفارسي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004، ص: 42.



بدليل أن جُل أسماء المدن أصلها لاتيني وهو ما ذهب إليه صاحب مقال: **List of Latin place names in Iberia** ⁽³⁶⁾ ويعود هذا لطول الحقبة الرومانية الممتدة لحوالي ست قرون، فكانت اسبانيا أهم مورد مادي وثقافي للإمبراطورية الرومانية ⁽³⁷⁾.

فركز الفنيقيون في القرن العاشر قبل الميلاد على إنشاء مراسي بحرية للتجارة على شواطئ البحر الشامي (المتوسط) مثل مالقة، ثم جاء على أثرهم الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد، وأقاموا على سواحلها الشرقية والغربية وأطلقوا على اسبانيا اسم "إيبيريا" ومن المدن التي أنشؤها مدينة برشلونة على البحر المتوسط، وبعد قرنين دخلها القرطاجيون وأسسوا في شرقها مدينة قرطاجنة. وتمكنت روما من انتزاعها من القرطاجيين في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وخضعت للهيمنة والقوانين الرومانية حتى غزتهم القبائل الجرمانية، فكانت اسبانيا من نصيب القوط الغربيين، فمع حلول القرن الخامس تمكنوا من زحزحة إخوانهم الوندال نحو الجنوب ⁽³⁸⁾ أما الساحل الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية في جزئه الإسباني والبرتغالي؛ فبقايا أساطينه وأطلال مبانيه تشهد على الوجود اليوناني والروماني فيها.

مدينة طليطلة فيضبط اسمها ب: طَلِيْطَلَة، كما ضبطه الحُمَيْدِي بضم الطاءين وفتح اللامين ⁽³⁹⁾ وأصل اسمها لاتيني هو "تولاظو" Toledo" ويذكر لنا البكري، أن معنى اسمها "فرح ساكنها" لحصانتها ومناعتها، تقع في وسط الجزيرة الأيبيرية ⁽⁴⁰⁾.

أما سرقسطة (Zaragoza): عُرفت في العهد الإسلامي بالمدينة البيضاء، لانتشار اللون الأبيض في مبانيها وجصها، وأصل تسميتها تعود إلى العصر الروماني، حيث نُسبت إلى بانها القيصر أغسطس (Seasar- Augusta) بناها سنة 23 ق.م.

المدن المحدثّة:

(36) انظر المقال في الصفحة: https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Latin_place_names_in_Iberia

(37) ديورانت، قصة الحضارة 40/11.

(38) ذكر سترابو Strabo المؤرخ اليوناني في القرن الأول قبل الميلاد بعض القبائل التي استوطنت شبه الجزيرة من مثال الغاليسيين والكانيتريانيين والباسك والشدانيين وغيرهم إلا أن الامبراطورية الرومانية صبغت هذه العناصر المختلفة بصبغتها. انظر: مؤلف جماعي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2000م، ص12. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط1995، 8/14.

(39) الحموي، معجم البلدان، 39/4.

(40) ذكر الأستاذ حسين مؤنس في إحدى محاضراته عن عوامل سقوط الدولة الإسلامية، في الأندلس هو أنهم لم يتخذوا طليطلة عاصمة لهم ويرى أن موقعها في قلب الجزيرة ومنعتها هما أداة قوة لمن يتخذها عاصمة لكنني أرى أن المسلمين تمكنوا من هزيمة القوط رغم أن طليطلة كانت عاصمة ولذلك عوامل الانتصار والهزيمة هي أعمق من ذلك.



خلال عصر وجود المسلمين في الأندلس، وتحديدًا في العصر الأموي، بنى المسلمون عددًا من المدن، وذلك لأغراض عدة منها السياسي الإداري، أو الأمني السياسي، ومن نماذج تلك المدن التي أحدثها المسلمون:

مرسية:

اخطتها الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وهي من أعمال تدمير، نسب الحموي اسم تدمير إلى تدمير الشام⁽⁴¹⁾ بينما نسبته الحميري إلى اسم ملكها تدمير⁽⁴²⁾ وهي تبعد على قرطاجنة أربعين ميلاً⁽⁴³⁾ وكان تأسيس مرسية لغرض عسكري، عهد ببناءها إلى جابر بن مالك بن لبيد، ويُنسب إلى مرسية عدد من الأعلام، منهم اللغوي: ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت: 458 هـ) صاحب المحكم والمحيط الأعظم، وأبوه النحوي إسماعيل بن سيدة، وكانا ضريرين⁽⁴⁴⁾ وأبو العباس المُرْسِيُّ أحمد بن عمر الصوفي المالكي، صاحب الشاذلي، نزل مرسية فنُسب إليها⁽⁴⁵⁾ وكما ذكرت سابقاً استطاع اسم مرسية أن يحل محل اسم تدمير التي طُمس اسمها مع تعاقب القرون.

"قلعة رباح" Calatrava :

مدينة بناها المسلمون في زمن الأمويين وقيل: سميت باسم التابعي علي بن رباح اللخمي، الذي اشترك في فتح الأندلس، تقع على وادي أنة GUADI ANA (اليانع) يضعها الحموي من عمل طليطلة، ويضعها الحميري من عمل جيان، وهي واقعة في الطريق بينهما، وأرى أن السبب في الاختلاف بينهما أنها كانت تابعة لطليطلة، إلى أن سقطت طليطلة في يد النصارى سنة 478 هـ، فأصبحت تابعة لجيان والنسبة إليها الرباعي عمرت بخراب اوريط، وكانت قد وقعت في يد النصارى مدة إحدى وخمسون سنة إلى أن استردها يعقوب المنصور الموحد، بعد معركة الأرك سنة 591 هـ وموقع الأرك جنوب القلعة⁽⁴⁶⁾

والنسبة إليها ليست بالقلعي على غرار النسبة إلى قلعة بني حماد (قلعة أبي طويل) ولكن النسبة إليها بالرباعي، والمشهور منها كثير منهم الفقيه المحدث محمد بن أبي سهلويه والفقيه المحدث القاسم بن السائب⁽⁴⁷⁾

(41) الحموي، المصدر السابق، 107/5.

(42) الحميري، المصدر السابق، 131.

(43) الحميري، المصدر السابق، ص: 462.

(44) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 3/330.

(45) المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 2/190.

(46) حول قلعة رباح انظر: الحموي، معجم البلدان، 23/3.

(47) السمعاني، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ط1، 1962، 6/68.



مدينة سالم "Medinaceli":

بنى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر مدينة سالم، في الثغر الأوسط، فكانت عاصمته الأولى، قبل طليطلة، وكان بناء المدينة لمواجهة ممالك النصارى الشمالية، لتكون مركزاً للجيش المجاهدة هناك، وكان على هذه المدينة القائد عبد الرحمن بن غالب (صهر المنصور بن أبي عامر) وهذه المدينة مات فيها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر⁽⁴⁸⁾ ويُنسب إلى هذه المدينة العربية عدد من الأعلام، منهم الأديب المؤرخ الطبيب أبو عامر محمد بن أحمد البلوي (نسبة إلى قبيلة بلي العربية) الطرطوشي السلمي (ت 559هـ)⁽⁴⁹⁾

"قلعة أيوب" Calatayud

وهي مدينة ثغرية من أعمال سرقسطة، والنسبة إليه "الثغري"، وهي قرب مدينة سالم، وتمكن النصارى من الاستيلاء على قلعة أيوب سنة 514 بعد انتصارهم في قتل هذه المعركة التي راح ضحيتها آلاف المسلمين، وعدد من العلماء⁽⁵⁰⁾

من بين الأسماء التي نُسبت إلى قلعة أيوب: القاضي عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري، سمع من علماء البصرة وبغداد والكوفة والقيروان، وعاد إلى بلده فتولى القضاء، ثم استعفى ولزم العبادة والجهاد⁽⁵¹⁾ وهي المدينة التي عُقد فيها قران الملكين فرناندو الأرجوني بالأميرة إيزابيلا القشتالية سنة 1469م⁽⁵²⁾

بطليوس badajoz

بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي (354-311) في إقليم ماردة، على نهر وادي أنة، بإذن الأمير الأموي عبد الله له في ذلك، فأنفذ له جملة من البناء وقطعة من المال فشرع في بناء جامعها وعدد من المساجد⁽⁵³⁾

المدن المشتركة في الاسم:

توجد بعض المدن الأندلسية التي تشترك في اسمها مع مدن أخرى في العالم، ولا شك أن الاسبان الذين احتلوا أمريكا اللاتينية، نقلوا إليها كثيراً من ثقافتهم وأسماءهم التي نجدها في أسماء المدن والأعلام في دول أمريكا اللاتينية، هذا التشابه في

(48) حول مدينة سالم انظر: الحميري، الروض، ص: 469. الحموي، معجم البلدان، 390/4. ضيف، تاريخ الأدب العربي، 31/8.

(49) الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، المستملح من كتاب التكملة، تج: بشار عواد، ط1، 2008م، ص 60.

(50) الحموي، المصدر السابق، 310/4. وانظر: الحميري، المصدر السابق، 469. الحموي، المصدر السابق، 390/4.

(51) عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، سعيد اعراب، مطبعة فضالة - المجدية، المغرب، 25/7.

(52) عياض، المصدر السابق، 25/7.

(53) الحميري، المصدر السابق، 93.



الأسماء أيضاً نجده في المدن الإسبانية، ومدن أخرى في العالم وهنا نعطي نموذجين هما مدينتا قرطاجنة و باجة وكلاهما في بلاد إفريقية.

قرطاجنة:

يقول صاحب الروض المعطار أن اسم قرطاجنة موجود في ثلاثة مواضع، موضعان في الأندلس، أحدهما عند الجزيرة الخضراء⁽⁵⁴⁾ والثاني من كورة تدمير، وعندها هزم موسى بن نصير تدمير الذي طلب الصلح، أما الموضع الثالث في إفريقية وهي الأولى.

وذكر صاحب معجم البلدان إن اسم هذه المدينة مركب من "قرطا" و "جنة" لطيبها ونزهتها وحسنها، تم بناؤها قبل روما باثنتين وسبعين سنة، تبعد عن مدينة تونس باثني عشر ميلاً. ويقال إن الذي بنى قرطاجنة ديدون أو ديدن⁽⁵⁵⁾ الملك زمن داود عليه السلام، ويذكر البكري أن قرطاجنة خربت على أثناء حصار أنيبال لرومية الطويل، فركب قائد من قواد روما على رأس جيش من صقلية وأتى على قرطاجنة، فأُخذ فيها قتلاً وحرقاً وهدموا المدينة، واتخذها جرجير دار ملك، إلى أن قضى عليهم الفاتحون المسلمون، وعمرت مدينة تونس بخراب قرطاجنة، واستخدم المسلمون بقايا المدينة في بعض منشآتهم⁽⁵⁶⁾

مدينة باجة:

يذكر الحميري أن اسم مدينة باجة ورد في ثلاثة بلدان في الصين وإفريقية والأندلس، وأما باجة الصين فهي مدينة البغبوغ والبغبوغ ملك الصين بأجمعه وإلى مدينته ينتهي مسافرو بلاد العرب، أما باجة إفريقية وباسمها سميت باجة الأندلس، فبينها وبين القيروان ثلاثة مراحل، ومدينة باجة مدينة كبيرة عليها سور حجارة قديم.

أما باجة الأندلس، بغرب الأندلس، (حاليا في البرتغال) مدينة رومانية بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ومدينة باجة أقدم مدن الأندلس، بنياناً وأولها اختطاطاً وإليها انتهى يوليش جاشر (يوليوس قيصر) وهو سماها باجة، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح، وحوز باجة وخطتها واسعة، ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر، وبها دعا العلاء بن مغيث اليحصبي بدعوة بني العباس ولبس السواد، ورفع راية سوداء واجتمع إليه فئات، من الناس

(54) يقول الحموي: الجزيرة الخضراء مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة... لا يحيط بها البحر إن الجزيرة في كلام العرب أرض في البحر يفرج عنها ماء البحر فتبدو كذلك... والنسبة إليها جزيري وإلى التي قبلها جزري للفرق وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم: أبو زيد عبد الله بن عمر بن سعيد التميمي الجزيري الأندلسي يروي عن أصبغ بن الفرغ وغيره مات سنة 365.. والجزيرة الخضراء أيضاً جزيرة عظيمة بأرض الزن... الحموي، معجم البلدان 2/ 136.

(55) يعزو صاحب قصة الحضارة «إنشاء هذه المدينة إلى إليسا Elissa أو ديدو Dido ابنة ملك صور فتقول إن أخاها قتل زوجها فأبحرت مع طائفة أخرى من المغامرين إلى إفريقية. . انظر: ديورانت، قصة الحضارة 85/9.

(56) البكري، المصدر السابق، 2/ 699 وما يليها. الحموي، معجم البلدان 4/ 323.



فقاتله عبد الرحمن بن معاوية. وأشهر أعلامها الإمام القاضي أبو الوليد الباجي سليمان ابن خلف شارح الموطأ الفقيه الأديب العالم المتكلم⁽⁵⁷⁾

خاتمة:

هذه لمحة جغرافية تاريخية لأسماء بعض المدن الأندلسية، تكشف عن أهمية المعرفة الطوبونيمية التي تجمع بين الثقافة الجغرافية اللغوية والتاريخية، أي أنها تعمل على توسيع المدارك للباحث في التاريخ، كما أنها تبين إسهامات الحضارات المتعاقبة على إسبانيا، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية.

فتكشف المعرفة الطوبونيمية أن جُل المدن الأندلسية مُدناً قديمة النشأة قدم الحضارات المتعاقبة جاءت تسمياتها مختلفة، ترتبط برموز دينية أو تاريخية أو جغرافية، غير أن هذه الأسماء تم تعريبها، وهذه المدن القديمة في تأسيسها أسهمت فيها حضارات متعاقبة (فينيقية يونانية رومانية قوطية) وكان للحضارة الإسلامية، النصيب الأوفر من خلال أفكار المهندسين وأنامل البنائين وإرادة السياسيين، فاصطبغت إسبانيا النصرانية بالصبغة الإسلامية، وغدت مدن إسبانيا متحفاً ماثلاً للزوار يشهد للحضارة الإسلامية، بالرقى والإبداع، فإذا كانت جل المدن الإسبانية، قديمة في تأسيسها، يشهد بذلك أسماء الحضارات المتعاقبة، إلا أن ملامح وجهها عربي إسلامي، لم تستطع أن تمحو ملامحه أيادي الدهر.

ولم يكتف المسلمون وتحديداً في العصر الأموي بتوسيع وإعمار المدن الإسبانية القديمة، بل أسسوا مدناً جديدة، تحمل أسماء عربية، كمرسية، وقلعة رباح، ومدينة سالم، وشيدوا عليها منشآت هي الأخرى تشهد بمستوى التقدم العمراني الإسلامي ورسوخ القدم في البناء والتشييد.

هذا عن الآثار المادية، أما عن الآثار المعنوية (الفكرية والأدبية والعلمية) فإن للمعرفة الطوبونيمية دوراً في معرفة تاريخ أسماء الرجال الأعلام، الذين برزوا في شتى الفنون والعلوم، هؤلاء الذين نُسبوا إلى المدن والحوضر التي كانت بمثابة مراكز جامعية فالإبداع العقلي الأندلسي، لم يقتصر على مدينة دون أخرى ولا جهة دون أخرى، ولكنه انتشر في جميع مدن الأندلس الإسلامية، التي أصبحت وجهة لطلبة العلم من أنحاء العالمين الإسلامي والمسيحي، وتهيأت هذه المدن إلى أن تكون كراسي يترع عليها كبار المستشرقين الأوروبيين، فبعد حركات الاسترداد النصراني لهذه المدن استحالَت إلى جامعات كبرى.

وهنا يتبين أن المعرفة بأسماء البلاد والمواقع والمدن ضرورية جداً، لا يمكن للمشتغل بعلم التاريخ أن يغفل عنها، فالباحث تبقى معرفته مجردة نظرية بعيدة عن تفسير الظواهر التاريخية تفسيراً دقيقاً، ما لم تكن له ثقافة عن جغرافية المدينة، ولذلك دعا فلاسفة التاريخ وعلى رأسهم العلامة ابن خلدون، إلى ضرورة الإحاطة بكم من المعارف المساعدة بما فيها اللغة والجغرافيا، المعبران عن المعرفة الطوبونيمية. فالمعرفة الطوبونيمية تكشف بعض الحقائق وتسد بعض الفراغات في البحث التاريخي لكنه لا يمكن الجزم بأن نتائجها دقيقة مؤكدة سالمة من الخطأ أو التحريف، ذلك لأن الحديث عن أسماء

(57) الحميري، المصدر السابق، ص 75.



المدن والبلاد دائما يكون في معرض الحديث عن الأصول الأولى وعليه نجد أنه حين يكون هناك تنازع بين طرفين أو أكثر في إثبات الانتماء إلى منطقة، نجد أن كل طرف يعمل على تفسير وتأويل اسم المنطقة، بل أحيانا يقومون بتلي اسم المدينة وصياغته صياغة جديدة تخدم غرضهم، ولذلك كثيراً ما نجد أكثر من تفسير للاسم الواحد، فالمعرفة الطوبونيمية حتى تحقق غايتها العلمية، يجب أن تتوفر في صاحبها شروط الموضوعية وسعة الأفق العلمي، وفي وثائقها الأصالة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- 1- الاصطخري، أبو إسحاق الفارسي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004.
- 2- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت ط3، 1403 هـ.
- 3- البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
- 4- الحميدي محمد بن فتوح الأزدي الميورقي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، 1966 م.
- 5- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط2، 1995 م.
- 6- الجُمَيْرِي عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج ط2، بيروت، 1980.
- 7- ابن خاقان أبو نصر الفتح، قلائد العقيان، المطبعة الأميرية، بولاق، 1866 م.
- 8- ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانة مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2002 م.



- 9- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- 10- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، المستملح من كتاب التكملة، تح: بشار عواد، ط1، 2008م
- 11- ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1955.
- 12- السمعاني، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ط1، 1962.
- 13- ابن عسكر أبو عبد الله وأبو بكر بن خميس، أعلام مالقة، تح: عبد الله المرابط الترقي، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط - المغرب، ط1، 1999.
- 14- عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، سعيد اعراب، مطبعة فضالة - المحمدية المغرب.
- 15- ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليماني، طبع دائرة المعارف العثمانية الهند، ط1، 1381هـ.
- 16- المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس، إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية صيدا-بيروت، ط1، 2006.
- 17- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط3، 1414.
- 18- مؤلف مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر وهو كتاب آخر أيام غرناطة، تح: محمد رضوان الدايدة دار حسان - دمشق.

المراجع:

- 19- البركة محمد، الطوبونيميا والبحث التاريخي محاولة في تجديد آليات البحث، دورية كان التاريخية السنة 7 ع24 يونيو 2014م.
- 20- بوعقادة عبد القادر، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، ع3، جوان 2015.
- 21- محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن، ط1، 2003.
- 22- سعيدوني، ناصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة للنشر، الجزائر 2000م.
- 23- عنان محمد عبدالله، دولة الاسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 1990.
- 24- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط1995.



25- مؤلف جماعي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2000م.

26- القدس العربي 26 - أغسطس – 2020. <https://www.alquds.co.uk/>

المراجع المترجمة:

27- ول ديورانت، قصة الحضارة تر: جماعة من المترجمين دار الجيل بيروت.

28- جماعة مؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري،، ترجمة جماعة من المترجمين، 1988

بالأجنبية:

28- GORDON EAST, The Geography behind History, discussion books General Edition, London 1938.

29- List of Latin place names in Iberia
https://en.wikipedia.org/wiki/List_of_Latin_place_names_in_Iberia